

«جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقيح العقليان أنموذجاً»

د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي | ٢٦١ .....

# جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقيح العقليان أنموذجاً

د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي



«جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقييح العقليان أنموذجاً»

د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي | ٢٦٣ .....

## Research Summary

## ملخص البحث

The science of Usul al-Fiqh is of the importance of what made it occupy a high position among those who consider and ijihad, and every jurist cannot dispense with him. The need for it is urgent, and it can be considered that the science of the-ology appeared in circumstances that the Islamic community needed as a result of the changes that had occurred to it.

A document, and the mind played a major role in laying the foundations and constants for both, and these two scienc-es were rooted as a result of the develop-ments that occurred in the Islamic com-munity, and among the important rules that occupied the speakers in those ages was the rule of mental improvement and disgrace, and to this day, it is seldom agreed that a researcher in the humanities would engage without To refer to it, due to its relationship to many sciences, espe-cially theology, ethics and jurisprudence.

إن لعلم أصول الفقه من الأهمية ما جعله يتبوأ مكانة عالية عند أصحاب النظر والاجتهاد ولا يستغني عنه كل فقيه هذا اذا علمنا ان علم أصول الفقه هو العلم الذي يبحث عن قواعد الاستنباط وأدلته، وقد وضع العلماء تلك القواعد او الضوابط للفقهاء لتقنين العملية الاجتهادية بعد ان أصبحت الحاجة إليها ماسة، ويمكن اعتبار ان علم الكلام قد ظهر في ظروف احتاجها المجتمع الإسلامي نتيجة لما طرأ عليه من تغييرات فكانت علاقة علم الكلام بعلم الأصول وثيقة، وكان للعقل دور كبير في إرساء الأسس والثوابت لكليهما، وقد تأصل هذين العلمين نتيجة للمستجدات التي طرأت على المجتمع الإسلامي، ومن القواعد المهمة التي شغلت المتكلمين في تلك العصور قاعدة التحسين والتقييح العقليين والى يومنا هذا، فقلماً يتفق أن يخوض باحث في العلوم الإنسانية دون أن يشير إليها، لعلاقتها بعلوم جمّة ولا سيما علم الكلام والأخلاق والفقّه .



وقد قسمت البحث على ثلاثة مباحث، فكان المبحث الأول بعنوان التحسين والتقييح العقليان لغة واصطلاحاً عند الاصوليين والمبحث الثاني بعنوان التحسين والتقييح العقليين واثريهما في العلوم والمعارف الاسلامية، والمبحث الثالث ماهية علم الكلام وعلم الأصول والعلاقة بينهما ثم الخاتمة فالتائج.

## المبحث الأول

### التحسين والتقييح العقليان لغةً واصطلاحاً وعند الأصوليين

- المطلب الأول: التحسين والتقييح لغة واصطلاحاً
- التحسين لغةً:
- التحسين مصدر الفعل حسن، يقال (حسن الشيء تحسيناً)<sup>(١)</sup>.
- و(استحسن الشيء إذا عده حسناً)<sup>(٢)</sup>.
- التحسين اصطلاحاً
- هو (ما للمكلف أن يفعله أو ما لفاعله أن يفعله)<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر لسان العرب، جمال الدين محمود بن مكرم

بن منظور، دار صادر، بيروت، ١٣: ١١٥

(٢) المصدر نفسه، ١٣: ١١٧

(٣) المستصفي من علم الاصول، ابو حامد الغزالي،

دار احياء التراث العربي، بيروت، ص ٥٦

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وعلى آله وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد؛

فإن لعلم أصول الفقه من الأهمية ما جعله يتبوأ مكانة عالية عند أصحاب النظر والاجتهاد ولا يستغني عنه كل فقيه، فقد جاءت تلك القواعد نتيجة لجهد ذهني فكري والباحث في أصول الفقه، أي العلم الذي يبحث عن قواعد الاستنباط وأدلته، يخوض في غمار تلك القواعد في أكثر مباحثه، وقد وضعت تلك القواعد او الضوابط للفقهاء لتقنين العملية الاجتهادية بعد إن أصبحت الحاجة إليها ماسة، ويمكن اعتبار ان علم الكلام قد ظهر في ظروف احتاجها المجتمع الإسلامي نتيجة لما طرأ عليه من تغييرات فكانت علاقة علم الكلام بعلم الأصول وثيقة، وكان للعقل دور كبير في إرساء الأسس والثوابت لكليهما، ومر العلمان بتطورات وإضافات نتيجة للمستجدات التي حصلت في المجتمع الإسلامي، ولفهم التحسين والتقييح رأيت من الضرورة الإلمام بالقضاء والقدر فأفردت لها مطلباً حيث يعتبر كتمهيد للموضوع ولأن قاعدة التحسين والتقييح العقليين شغلت بال كثير من المفكرين منذ عصور قديمة إلى يومنا هذا، فقلماً يتفق أن يخوض باحث في العلوم الإنسانية دون أن يشير إليها، لعلاقتها بعلوم جمة ولا سيما علم الكلام والأخلاق والفقه.

« جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقييح العقليان أنموذجاً »

..... د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي | ٢٦٥

#### • التقييح لغة

معروفة عند علماء الإسلام ثم تلتها جماعة قالت بالقدر وسميت والقدرية ثم ظهر أهل الاعتزال في بداية القرن الثاني الهجري في مدينة البصرة فرقة كلامية قدر لها أن تمارس دورا كبيرا وتحتل مكانة حيث تصدت للكثير من الشبهات والأباطيل التي سادت الأمة الإسلامية وأطلق عليها المعتزلة وكان لها شأن كبير في الحياة الإسلامية وبذلك تعتبر مدرسة الاعتزال هي من أوائل المدارس الكلامية التي واستطاعت تأسيس قواعد الخلاف وفق نظام فكري متناسق و ضمت خليطا فكرياً لأقوال سبقتها من أقوال .

#### ١. فرقة المعتزلة<sup>(٤)</sup>

يتفق علماء المعتزلة على أن العقل هو الحاكم

مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام) انظر [الرد على الجهمية والزنادقة]، الامام احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، تحقيق : صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات، ص ٢٣، ١٤٢٤ .

(٤) أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال الأثغ كان تلميذا للحسن البصري يقرأ عليه العلوم والأخبار وكانا في أيام عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، ومن اقوالهم : القول بنفي صفات الباري تعالى من العلم والقدرة والإرادة والحياة، والقول بالقدر : وإنما سلكوا في ذلك مسلك معبد الجهنني وغيلان الدمشقي، والقول بالمنزلة بين المنزلتين (الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)، تقديم صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٥ م ، ص ٣٦

اتفق أهل اللغة على أن القبح في اللغة (يأتي ضد الحسن والقبيح ضده الحسن كما أن التقييح يضاد التحسين والتقييح مصدر، يقال : قبحه الله أي صيره قبيحا، وقبح عليه فعله أي بين قبحه إذا كان مذموما)<sup>(١)</sup>.

#### التقييح اصطلاحاً :

هو (ما ليس للمكلف أن يفعله أو ما ليس لفاعله أن يفعله)<sup>(٢)</sup>.

#### • المطلب الثاني: التحسين والتقييح العقليان

#### عند الأصوليين المتكلمين

يمكن القول بأن أهم المذاهب الكلامية- فيما يبدو- هم المعتزلة والأشاعرة والشيعة، وقد عدّ بعضهم الخوارج والباطنية<sup>(١)</sup> ونحوهما مذاهب كلامية إلا أن الصحيح عدم إمكان عددهما من المذاهب الكلامية.

فمسألة التَّحْسِين والتَّقْيِيح من المسائل التي اختلف فيها المتكلمون على ثلاثة أقوال وهم: المعتزلة والاشاعرة والماتريدية

وتعتبر الجبرية وعلى رأسها الجهم بن صفوان الجهمية<sup>(٣)</sup> أول من تكلم في مسائل لم تكن

(١) لسان العرب، ٢: ٥٥٢

(٢) المستصفي، ١: ٥٦

(٣) الجهمية ترجع في نسبتها إلى جهم بن صفوان الترمذي الذي كان له ولأتباعه صولات وجولات. قال عنه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: (وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوهم وأضلوهم بكلامهم بشراً كثيراً، فكان

بالحسن والقبح والفعل حسن او قبيح في نفسه، والعقل يعلم العلم الكامل بحسن الفعل وقبحه ومن ثم يحكم عليه (فالمعتزلة قد نسبوا الى العقل الحكم والكشف)<sup>(١)</sup>.

ولكن هل رأي المعتزلة في إدراك حسن الأفعال والثواب عليها، وقبحها والعقاب عليها، هل هو ثابت بالعقل أم بالشرع؟ (إن الحسن والقبيح قد يعني بهما كون الشيء ملائماً للطبع أو منافراً له، وبهذا التفسير لا نزاع في كونهما عقليين. وقد يراد بهما كون الشيء صفة كمال أو صفة نقص، كقولنا: العلم حسن، والجهل قبيح، ولا نزاع - أيضاً - في كونهما عقليين)<sup>(٢)</sup>.

ومن آراءهم في هذه المسألة، حيث يقول : القاضي عبد الجبار (وكل عاقل يعلم بكمال عقله قبح كثير من الآلام كالظلم الصريح وغيره وحسن كثير منها كذم المستحق للذم وما يجري مجراه)<sup>(٣)</sup> ويقول أبو الهذيل (يجب على المكلف قبل ورود السمع .... أن يعرف الله تعالى بالدليل

وبهذا يتبين عند المعتزلة أنّ الحُسن والقبح إنّما يُدرك بالعقل، فالعقل هو الحاكم بالحسن والقبح، والفعل حَسَنٌ أو قبيح في نفسه إمّا لذاته، أو لصفة حقيقيّة توجب ذلك، أو لوجوه واعتبارات هو عليها . ويقول الغزالي (ذهب المعتزلة الى أن الأفعال تنقسم الى حسنة وقبيحة، فمنها ما يدرك بضرورة العقل كحسن إنقاذ الغرقى والهلكى وشكر المنعم ومعرفة حسن الصدق وقبح الكفران .... ومنها ما يدرك بنظر العقل كحسن الصدق الذي فيه ضرر، وقبح الكذب الذي فيه نفع، ومنها ما يدرك بالسمع كحسن الصلاة وسائر العبادات، وزعموا أنها متميزة بصفة ذاتها عن غيرها بما فيها من اللطف المانع من الفحشاء الداعي الى الطاعة، لكن العقل لا

نظريّة التكليف آراء عبد الجبار الكلامية، عبد الكريم عثمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١م، ص ٤٣٧

(٢) المحصول في علم الصول، فخر الدين الرازي، الرياض، لجنة البحوث والتأليف والنشر، ١٩٧٩م، ج ١، ص ١٥٩

(٣) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن احمد الهمذاني، مكتبة وهبة، مطبعة الاستقلال الكبرى، ١٩٦٥م، ص ٤٨٤

(٤) المل والنحل، الشهرستاني، ج ١، ص ٥٥

(٥) المل والنحل، ج ١، ص ٦٠

(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٢

« جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقييح العقليان أنموذجاً »

..... د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي | ٢٦٧

تفاصيل الشريعة ليس للعقل مجال فيها؛  
وقرروا على ذلك وجوب بعثة الرسل على الله،  
قال القاضي عبد الجبار: (فلا بد من أن يعرفنا  
الله تعالى حال هذه الأفعال كي لا يكون  
عائداً بالنقص على غرضه بالتكليف وإذا كان  
لا يمكن تعريفنا ذلك إلا بأن يبعث إلينا رسولاً  
مؤيداً بعلم معجز دال على صدقه فلا بد أن  
يفعل ذلك ولا يجوز له الإخلال به، ولهذه  
الجملة قال مشايخنا: ان البعثة متى حسنت  
وجبت، على معنى أنها متى لم تجب قبحت  
لا محال)<sup>(٥)</sup>.

ومن هذه الأقوال يظهر أن الأفعال عند المعتزلة  
قد ثبت قبحها والعقاب عليها، كما ثبت  
حسنها والثواب عليها عقلاً ما عدا العبادات .  
٢. الأشاعرة

أما الأشاعرة فإنَّ عندهم الحُسن والقبح إنَّما  
يُدرَك بالشرع، والعقل لا يدلُّ على الحُسن  
أو القبح قبل ورود السَّمع، فلا يجب على  
العباد شيءٌ قبل ورود السَّمع، وهذا ما أكده  
الأشاعرة، فيقول الإمام التفتازاني (وإنما النزاع  
في الحسن والقبح عند الله تعالى بمعنى  
استحقاق فاعله في حكم الله تعالى المدح أو  
الذم عاجلاً والثواب والعقاب آجلاً، ومعنى  
التعرض للثواب والعقاب على أن الكلام في  
أفعال العباد، فعند ذلك بمجرد الشرع بمعنى

(٥) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار،  
تحقيق د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، مصر،  
ص ٥٦٤.

يستقل بدركه)<sup>(١)</sup> .  
وأورد الشهرستاني قول المعتزلة اذ قال: (وقال  
اهل العدل المعارف كلها معقولة بالعقل  
واجبة بنظر العقل وشكر المنعم واجب قبل  
ورود السمع والحسن والقبح صفتان ذاتيتان  
للحسن والقبح)<sup>(٢)</sup> .

وقال الأمدي في خلال كلامه عن مذهب  
المعتزلة والكرامية<sup>(٣)</sup> (إن الأفعال ان منقسمة  
إلى حسنة وقبيحة لذواتها لكل منهما ما يدرك  
حسنه وقبحه بضرورة العقل كحسن الإيمان  
وقبح الكفران أو بنظره كحسن الصدق المضر  
وقبح الكذب النافع أو بالسمع كحسن  
العبادات لكن اختلفوا فزعمت الأوائل من  
المعتزلة أن الحسن والقبح غير مختص بصفة  
موجبة لحسنه وقبحه ومنهم من أوجب ذلك  
كالجبائية ومنهم من فصل وأوجب ذلك في  
القبح دون الحسن)<sup>(٤)</sup> .

يتبين من كلام المعتزلة السابق أنهم يرون أن

(١) المستصفي، ابو حامد الغزالي، ج ١، ص ٥٦ .

(٢) الملل والنحل، ج ١، ص ٤١ .

(٣) هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، وهم  
طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشر فرقة . وأصولها  
سته وكان ممن يثبت الصفات الا انه ينتهي فيها الى  
التجسيم والتشبيه (الملل والنحل للشهرستاني، ج ١،  
ص ١٠٧ .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين أبي  
الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدي، تحقيق  
عبد الرزاق عفيفي، المكتب الاسلامي، بيروت، ط ٢،  
ج ١، ص ٨٠ .

أن العقل لا يحكم بأن الفعل حسن أو قبيح في حكم الله تعالى و بل ما ورد الأمر به فهو حسن وما ورد النهي عنه فقبیح من غير أن يكون للعقل محسنة أو مقبحة في ذاته ولا بحسب جهاته واعتباراته حتى لو أمرنا بما نهى عنه صار حسناً وبالعكس<sup>(١)</sup> .

وقد تمسك الأشاعرة بوجوه يدل بعضها على أن الحسن والقبح ليس لذات الفعل ولا لجهات واعتبارات فيه، وبعضها على إنهما ليس لذاته خاصة، وللأسباب : (الأول : لو حسن الفعل أو قبح عقلاً لزم تعذيب تارك الواجب، ومرتكب الحرم، سواء ورد الشرع به أم لا بناء على أصلهم في وجوب تعذيب من استحقه إذا مات غير تائب، واللازم باطل لقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء الآية ١٥] .

الثاني : لو كان الحسن والقبح بالعقل لما كان شيء من أفعال العباد حسناً ولا قبيحاً عقلاً، واللازم باطل باعترافكم، وجه اللزوم أن فعل العبد إما اضطراري، وإما اتفاقي، ولا شيء منهما بحسن ولا قبيح عقلاً<sup>(٢)</sup> .

وقد رد الأشاعرة على المعتزلة ومن ذلك قال الشهرستاني (فقد قال أهل السنة : الواجبات

(١) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، تحقيق دار المعارف

العمانية، باكستان، ١٩٨١م، ج٤، ص٢٨٣

(٢) شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ج٤،

ص٢٨٤

كلها بالسمع والمعارف كلها بالعقل . فالعقل لا يحسن ولا يقبح ولا يقتضي ولا يوجب والسمع لا يعرف أي لا يوجد المعرفة بل يوجب<sup>(٣)</sup> .

وقال الإيجي (القبيح ما نهى عنه شرعاً، والحسن بخلافه ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها)<sup>(٤)</sup>

وقال الباقلاني (والحسن ما وافق الأمر من الفعل والقبيح ما وافق النهي من الفعل وليس الحسن حسناً من قبل الصورة وليس القبيح قبيحاً من قبل الصورة)<sup>(٥)</sup>

وقال الشهرستاني (العقل لا يدل على حسن الشيء وقبحه في حكم التكليف من الله شرعاً..... وقد يحسن الشيء شرعاً ويقبح مثله المساوي له في جميع الصفات النفسية فمعنى الحسن ما ورد الشرع بالثناء على فاعله ومعنى القبيح ما ورد الشرع بذم فاعله)<sup>(٦)</sup>

قال الكليني في حاشيته على شرح الجلال

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني، ج١، ص٤١

(٤) المواقف، القاضي عضد الدين عبد الرحمن الأيجي، تحقيق عبد الرحمن عميرات، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧، ج٣، ص٢٦٨

(٥) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، محمد بن الطيب القاضي أبي بكر الباقلاني، تحقيق وتقديم محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي، مصر، ط٢، ١٩٦٣م، ص٤٩

(٦) ينظر نهاية الأقدام في علم الكلام، محمد بن عبد الكريم أحمد الشهرستاني أبو الفتح، تحقيق الفرد جيوم، مكتبة الثقافة، ص٣٧٠



« جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقييح العقليان أنموذجاً »

..... د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي | ٢٦٩

الدواني على العقائد العضدية (لأنه المالك على الأخلاق وله التصرف في ملكه كيف يشاء فله أن يجعل الواجبات على العباد محرمات وبالعكس)<sup>(١)</sup>.

ويقول المحقق الخراساني (١٣٢٩هـ):

(وإنما أنكر الأشاعرة الحسن والقبح العقليين مطلقاً، أو في أفعاله تعالى فلبنائهم أنه تعالى

كلما فعل صدر منه في محله، لأنه مالك الخلق كله، فلو أثاب العاصي وعاقب المطيع

لم يأت بقيح، لأنه تصرف في فلكه وهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. وأما في أفعال

العباد، فلبنائهم على عدم صدور الأفعال منهم بالاختيار، بل بالجبر والاضطرار، ولا شيء من

أفعال المجبور بحسن ولا قبيح)<sup>(٢)</sup>.

### ٣. الماتريديّة

إنّ لمسألة التحسين والتقييح العقليين دوراً مؤثراً في المسائل الكلامية، فالأشاعرة على

إنكارها دور العقل والتأكيد على دور الشرع فيهما وأما المعتزلة فهم على جانب مخالف،

وأما الماتريديّة فيعترفون بالتحسين والتقييح ويمكن اعتبارهما حلقة وسطية بينهما.

قال ألبياضي (والحسن بمعنى استحقاق المدح والثواب، والقبح بمعنى استحقاق الذمّ

والعقاب على التكذيب عنده (أبي منصور الماتريدي) إجمالاً عقلي، أي يعلم به حكم

الصانع في مدّة الاستدلال في هذه العشرة)<sup>(٣)</sup> ولقد استقل الشيخ الماتريدي باب التحسين

والتقييح العقليين بمجموعة آراء : إن الله سبحانه وتعالى عادل، فلا يجوز عليه

تعذيب المطيع)<sup>(٤)</sup>. مغايراً به قول الأشعري من أنّه يجوز لله

سبحانه (أن يؤلم الأطفال في الآخرة وهو عادل إن فعله)<sup>(٥)</sup>.

أنكر الماتريدي إيجاب العقل للحسن والقبح، ولكنه قادر على كشفهما إن العقل يوجب

الحنة للمطيع والنار للكافر ولكن لم يحدد الماتريدي مراتبهما .

قال أبو زهرة (إنّ منهاج الماتريديّة للعقل سلطان كبير فيه من غير أيّ شطط أو إسراف،

والأشاعرة يتقيّدون بالنقل ويؤيدونه بالعقل، حتّى إنه يكاد الباحث يقرّر أنّ الأشاعرة في

خطّ بين الاعتزال وأهل الفقه والحديث،

(٣) ينظر إشارات المرام : فصل الخلافات بين جمهور الماتريديّة والأشعرية الجزء الثاني : ص ٣١٠ - ٣٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٤

(٥) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن الأشعري، تحقيق محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، ص ١١٦

(١) ينظر: حاشية الكليني على شرح الجلال الدواني على العضدية، إسماعيل الكليني، دار سعادت عثمانية، ١٣١٧هـ، ج ٢/١٨٦

(٢) درر الفوائد في شرح الفرائد، محمد كاظم الخراساني (١٣٢٩ هـ)، تحقيق السيد مهدي شمس الدين، دار الارشاد الاسلامي، طهران، ١٤١٠

والماتريديّة في خطّ بين المعتزلة والأشاعرة<sup>(١)</sup> والنتيجة لهذا انه (يأخذ بحكم العقل فيما لا يخالف الشرع، فإن خالف الشرع فلا بد من الخضوع لحكم الشرع)<sup>(٢)</sup> والماتريديّة يرون (إن للأشياء قبحاً ذاتياً وان العقل يستطيع أن يدرك حسن بعض الأشياء وقبحها ..... وهذا لا يوافق عليه الأشعري)<sup>(٣)</sup>

• المطلب الثالث: مدرسة الفقهاء الأصوليون

وهي مدرسة أخذت بالقول الوسط، فالتحسين والتقييح للأشياء ليس عقلياً أو شرعياً بإطلاق، فمن الأشياء ما يعلم حُسنها وقبحها بالعقل، ومنها ما يُدرك بالشرع، ومنها ما يُدرك بهما معاً .

فحسن الصّدق وقبح الكذب يُدرك بالعقل، وحُسن التّطهّر بالتراب وقبح التّطيّب في حال الإحرام يُدرك بالشرع، ومن الأشياء ما يُعلم قبحها وحسنها بهما معاً ؛ كحسن الصّلاة، وقبح تعطيل الحدود .

ولذلك يقول ابن القيم رحمه الله (فاعلم أن هذا مقام عظيم زلت فيه أقدام طائفتين من

الناس طائفة من أهل الكلام والنظر وطائفة من أهل السلوك والإرادة، فنفى لأجله كثير من النظائر التحسين والتقييح العقليين وجعلوا الأفعال كلها سواء في نفس الأمر وأنها غير

منقسمة في ذواتها الى حسن وقبيح، ولا يميز القبيح بصفة اقتضت قبحه بحيث يكون منشأ القبح، وكذلك الحسن فليس للعقل عندهم منشأ حسن ولا قبح ولا مصلحة ولا مفسدة، ولا فرق بين السجود للشيطان والسجود للرحمن في نفس الأمر، ولا بين الصدق والكذب ولا بين السفاح والنكاح إلا إن الشارع حرم هذا واوجب هذا)<sup>(٤)</sup> .

وهذا يعني ان ليس هناك أي اعتبار للحسن والقبيح فيما لو لم ينهى الشرع عنه أو يأمر به أو حتى الفطرة السليمة أو الأعراف والتقاليد المعتمدة، وبذلك يكون هذا الرأي باطل، فيقول ابن القيم (وقد بينا بطلان هذا المذهب .... فإن هذا المذهب بعد تصوره وتصور لوازمه يجزم العقل ببطلانه، وقد دل القرآن على فساده في غير موضع والفطرة أيضاً وصريح العقل)<sup>(٥)</sup> ثم يقول ابن القيم ( قد دل القرآن أنه لا تلازم بين الأمرين وأنه لا يعاقب إلا بإرسال الرسل وأن الفعل نفسه حسن وقبيح ونحن نبين دلالاته على الأمرين :

أما الأول ففي قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء الآية ١٥] . وفي قوله رسلا مبشرين ومنذرين لثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وفي قوله {كلما ألقى

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم، المحقق محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣، ط ٢، ج ١، ص ٢٢٧

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٠

(١) تاريخ المذاهب الاسلاميّة، محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ج ١ ص ١٩٩ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٨

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٩-١٧٠

« جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقييح العقليان أنموذجاً »

..... د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي | ٢٧١

بتعلم سنة نبيه ﷺ فالعلوم العقلية ان كانت غير كافية في سلامة القلب لكنها محتاج اليها في فهم العلوم الدينية، فلا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل، والداعي الى محض السمع مع عزل العقل بالكلية جاهل، ومن ظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن فهو ظن عن عمى عين بصيرته).

إنه لا ينكر احد ما للعقل من دور مهم في الحكم على الأمور، على ان لا يتقدم على السمع والنقل، ولا يتعارض معهما، لأنه ليس لديه الإمكانيات لعبور المجهول الذي خفي عن بني البشر .

يقول ابن خلدون: (العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمئع أن تزرن به أمور التوحيد، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال)<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب الفقهاء الأصوليون في الحسن والقبح في الأفعال مذهباً وسطاً، فهما عقليان وشرعيان، وأن الأفعال في نفسها حسنة وقيحة، كما أنها نافعة وضارة، وأن العقل يدرئ الحسن والقبح في الأشياء، والله قد فطر عباده على استحسان الصدق، والعدل، والعفة، والإحسان، ومقابلة المنعم بالشكر، وفطرهم على استقباح أضدادها،

فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء { فلم يسألوهم عن مخالفتهم للعقل بل للنذر وبذلك دخلوا النار وقال تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ [الزمر الآية ٧١] وقال تعالى ﴿ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفُلُونَ ﴾ [الأنعام الآية

١٣١] وعلى أحد القولين وهو أن يكون المعنى لم يهلكهم بظلمهم قبل إرسال الرسل فتكون الآية دالة على الأصليين أن أفعالهم وشركهم ظلم قبيح قبل البعثة وأنه لا يعاقبهم عليه إلا بعد الإرسال وتكون هذه الآية في دلالتها على

الأميرين نظير الآية التي في القصص ﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص الآية ٤٧] فهذا يدل على أن ما قدمت أيديهم سبب لنزول

المصيبة بهم ولولا قبحة لم يكن سبباً لكن امتنع إصابة المصيبة لانتفاء شرطها وهو عدم مجيء الرسول إليهم فمذ جاء الرسول انعقد السبب ووجد الشرط فأصابهم سيئات ما عملوا وعوقبوا بالأول والآخر)<sup>(١)</sup>

- ويقول طاش كبري زادة عن موقع العقل من السمع (العلوم أما دينية مأخوذة بطريق التقليد عن الأنبياء وأما بتعلم كتاب الله عزوجل أو

(٢) المقدمة، ابن خلدون، (٥٨١٦)، دار احياء التراث

العربي، بيروت، ط٤، ص ٤٦٠

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، ٢٢٢/١

لكنَّ الثواب والعقاب شرعيَّان يتوقفان على أمر الشارع ونهيه، ولا يجبان عن طريق العقل . قال ابن تيمية (فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة أيضاً وقالوا إنما قابل بدعة بدعة وردا باطلاً بباطل)<sup>(١)</sup>. وقد رد الفقهاء الأصوليون على المعتزلة والاشاعرة حول مسألة الحسن والقبح بردود منها : أن المعتزلة ترى أن قبح الأشياء وحسنها والعقاب عليها والثواب ثابت عقلاً، فهم يرون أن هناك تلازم بين إدراك قبحها، وبين العقاب عليها... ويقال لهم (إنه لا تلازم بين هذين الأمرين، فالأفعال في نفسها حسنة وقبيحة، لكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي، وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون قبيحاً موجباً للعقاب مع قبحه في نفسه، بل هو في غاية القبح، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل. فمثلاً: الكذب والزنا: كلها قبيحة في ذاتها، لكن العقاب عليها مشروط بالشرع...)<sup>(٢)</sup>.

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف الآية ٣٣].

فقد أخبر سبحانه وتعالى أن فعلهم فاحشة قبل نهيم عنه، وأمر باجتنابه بأخذ الزينة، والفاحشة هنا: طوافهم بالبيت عراة، ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [الأعراف الآية ٢٨]. أي: لا يأمر بما هو فاحش في العقول والفطر. ولو كان إنما علم كونه فاحشة بالنهي، وأنه لا معنى لكونه فاحشة إلا لتعلق النهي به لصار معنى الكلام: إن الله لا يأمر بما ينهى عنه، وهذا لا يتكلم به آحاد الناس فضلاً عن الله سبحانه وتعالى؛ ثم أي فائدة في قوله «إن الله لا يأمر بما ينهى عنه»؟ فإنه ليس لمعنى كونه «فاحشة» عندهم إلا أنه منهي عنه، لا أن العقول تستفحشه.

### المبحث الثالث

## التحسين والتقيح العقليين وأثرهما في العلوم والمعارف الإسلامية

#### • المطلب الأول : العقل لغة واصطلاحاً

قبل البدء بمعرفة دور العقل في الإسلام لابد من تعريفه لغةً واصطلاحاً.

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩١م، ٢٥٤/١.

(٢) المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف السنة منها، عواد بن عبد الله المعتق، مكنية الرشد، الرياض، ط ٢، ١٩٩٥م، ص ١٦٤.

« جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقييح العقليان أنموذجاً »

..... د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي | ٢٧٣

وهناك تعريفات أخرى للعقل ولكنني آثرت

الاكتفاء بهذه لعلاقتها بالموضوع

#### • العقل اصطلاحاً :

لقد تعددت أقوال العلماء في تعريفه وعن ذلك قال الزركشي (وقد تكلم فيه أصناف الخلق من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء وكل واحد ما يليق بصناعته..... والمتكلمون هم

اهل النظر والنظر أبداً يتقدم العقل والفقهاء تكلموا فيه من حيث انه مناط التكليف)<sup>(٧)</sup>.

ومن تعاريفه المشهورة (هو ضرب من العلوم الضرورية وهو العلم بوجود الواجبات واستحالة المستحيلات وجواز الجوازات، وقال به بعض العلماء وحكي عن جمهور المتكلمين)<sup>(٨)</sup>

#### • المطلب الثاني : مكانة العقل في الإسلام

لقد جعل الإسلام للعقل مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة حيث تكررت مادة عقل في القرآن الكريم (تسع واربعين مرة)<sup>(٩)</sup>.

ما عدا ذلك من المرادفات للعقل كالنهى والألباب والحجى، وأمر الباري عزوجل

(٧) البحر المحيط، الزركشي، تحرير : د. عمر سليمان الأشقر و د. عبد الستار ابو غدة و د. محمد سليمان الأشقر، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت، ١ : ٨٤.

(٨) ينظر المستصفي، ٢٣ : ١.

(٩) المعجم المفهرس للفاظ القرآن الكريم، محمد فوآد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤، ص ٤٦٨-٤٦٩ .

#### • العقل لغة :

قال بعض أهل العلم في تعريف العقل (العقل أصل معناه المنع، وفيه العقال للبعير سمي به لأنه يمنع عما لا يليق به)<sup>(١)</sup>.

وقال الفيروزآبادي (جمعه عقول، عقل يعقل عقلاً ومعقولاً وعقل فهو عاقل من عقلاء وعقال)<sup>(٢)</sup>.

ويطلق العقل على معاني أخرى وسنختار منها ماله علاقة وطيدة ببحثنا :

١. العلم : (العقل ضد الجهل)<sup>(٣)</sup>.

٢. الفهم : يقال (عقل الشيء يعقله عقلاً، فهمه فهو عقول)<sup>(٤)</sup>.

٣. التمييز والإدراك الذي يميز الإنسان عن سائر الحيوان ومنه (عقل الغلام أي أدرك وميز)<sup>(٥)</sup>.

٤. التثبت في الأمور (والعقل : التثبت في الأمور)<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دراسة وتحقيق : علي شيري، دار الفكر، ١٥ : ٥٠٤.

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي (٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٧م، ص ١٣٣٦

(٣) العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، ١ : ١٥٩.

(٤) القاموس المحيط، ص ١٣٣٦.

(٥) لسان العرب، ١ : ٤٥٩.

(٦) لسان العرب . ١١ : ٤٥٨ .

«جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقييح العقليان أنموذجاً»

٢٧٤ | د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي .....

وقال ابن القيم (ولا تغضض طرف بصيرتك عن هذه المسألة فإن شأنها عظيم وخطرها جسيم)<sup>(٣)</sup>. وقال كل من التفتازاني وابن نجيم (هذه المسألة من أمهات مسائل الأصول ومهمات مباحث المعقول والمنقول)<sup>(٤)</sup>.

ان قاعدة التحسين والتقييح مرتبطة بثلاثة علوم وهي علم الكلام وعلم الأصول وعلم الفقه، فأما ارتباطها بعلم الكلام من حيث (البحث في أفعال الباري تعالى هل تتصف بالحسن؟ وهل تدخل القبائح تحت إرادته ومشيتته؟ كما ان لها ارتباط بمسألة خلق أفعال العباد وتعليل أفعاله تعالى بالحكم والاعراض ونحو ذلك من المسائل الكلامية)<sup>(٥)</sup>.

وأما ارتباطها بعلم أصول الفقه من جهة البحث عن (ان الحكم الثابت بالأمر يكون حسناً والحكم الثابت بالنهي يكون قبيحاً، ثم هل يمكن أن يكون للعقل دور أيضاً في معرفة حسن أو قبح الأفعال غير المنصوص عليها أو لا)<sup>(٦)</sup>. وأما ارتباطها بعلم الفقه فمن حيث (أنها راجعة الى أن الفعل الواجب يكون حسناً

(٣) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢ : ٣٨ .

(٤) التلويح على التوضيح لمتن التقييح، التفتازاني (٧٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١ : ١٧٢ وفتح الغفار، ابن نجيم، ١ : ٥٥ .

(٥) فتح الغفار بشرح المنار، المعروف بمشكاة الانوار في اصول المنار، ابن نجيم الحنفي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ١ : ٥٥ .

(٦) المصدر نفسه .

بالتفكر والتدبر وهذا يدل على عظم شأن العقل ومكانته فقال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي عَادَٰمَ﴾ [الإسراء الآية ٧٠] .

وقال القرطبي في تفسير الآية الكريمة (والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل الى نعيمه وتصديق رسله، إلا انه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب)<sup>(١)</sup>.

ومدح القرآن الكريم أصحاب العقول الذين يستخدمون عقولهم فيما ينفعهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض، وبالوقت نفسه ذم السفهاء الذين لا يحسنون التدبر والتفكر والاهتداء .

• المطلب الثالث : اثر قاعدة التحسين والتقييح على العلوم والمعارف الإسلامية  
• المطلب الاول : اثر التحسين والتقييح على العلوم الإسلامية

ان قاعدة التحسين والتقييح من القواعد المهمة حيث يندرج تحتها مسائل كثيرة وقد ذكر ذلك الكثير من العلماء، قال السمعاني (ومعرفة هذه المسألة أصل كبير من مسائل كثيرة)<sup>(٢)</sup> .

(١) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن احمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٠ : ١٩٠-١٩١ .

(٢) قواطع الأدلة في الاصول، ابن السمعاني، تحقيق : محمد حسن محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ٢ : ٤٨ .

« جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقييح العقليان أنموذجاً »

..... د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي | ٢٧٥

من كتب رموز هذه المدرسة أو تتأمل اجتهادها من اجتهاداتهم إلا وتجد التأثير الواضح بفكر المعتزلة من أصوله ومتطلباته من جهة والوقوع تحت ضغط العلمانية والفلسفة الغربية من جهة أخرى<sup>(٣)</sup>.

- المبحث الثالث : ماهية علم الكلام وعلم الأصول والعلاقة بينهما
- المطلب الأول : ماهية علم الكلام وعلم الأصول

عرف ابن خلدون بأنه (علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن المذاهب السلف وأهل السنة)<sup>(٤)</sup> ومن تعريفات علم الأصول: (فالأصول جمع أصل، وهو في اللغة ما يبنى عليه غيره)<sup>(٥)</sup>.

وفي الاصطلاح : (العلم بالأحكام الشرعية عن أدلته التفصيلية بالاستدلال)<sup>(٦)</sup>.

وعلم أصول الفقه هو (علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية اليقينية .... والغرض منه استنباط

والحرام يكون قبيحا، لئلا يثبت بالأمر ما ليس بحسن وبالنهى ما ليس بقبيح، ثم ان هذه القاعدة يحتاج إليها في مسائل من الفقه)<sup>(١)</sup>.

- المطلب الثاني : اثر التحسين والتقييح على المعارف العقلية الحديثة

لقد كان للظروف التي مرت بها الأمة العربية والإسلامية في القرن العشرين من ضعف وتخلف علمي واقتصادي واستبداد سياسي خاصة بعد سقوط الخلافة العثمانية وتفكك الدولة الى دويلات صغيرة لم تستطع أن تقف بوجه الاحتلال الغربي للأمة الإسلامية (وكانت هناك طائفة من العلماء حاولت الجمع بين منهج الإسلام والمنهج الغربي العلماني، وسعت للتوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية وأرادت أن تبين للناس ان الدين الإسلامي الحق لا يحارب العلم ولا ينافي العقل وانه دين العقل والحرية والفكر، وان شريعة الإسلام قائمة على العقل الذي لا يقر أرباب الثقافة الغربية غيره حكماً)<sup>(٢)</sup>.

وقد أطلق على هؤلاء المفكرين بالعصرانيين او العقلانيين لإعتمادهم كلياً على العقل ونقد النصوص وتطويعها أو تأويلها حسب رغباتهم، وهو اتجاه فكري يغالي في تقييم العقل والاعتماد عليه (فلا تكاد تطالع كتاباً

(١) فتح الغفار، ١: ٥٥.

(٢) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، ط ٢، ٢٠٠١ م، ص ١٨٠.

(٣) ينظر التجديد في الفكر الاسلامي، عدنان محمد أمامة، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤ هـ، ص ٣٦٧.

(٤) المقدمة، ابن خلدون، ج ١، ص ٤٨٥.

(٥) ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار السلام، ١٩٩٨ م، ص ٤١.

(٦) ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ص ٤٢.

« جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقييح العقليان أنموذجاً »

٢٧٦ | د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي .....

الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الأربعة التفصيلية أعني : الكتاب والسنة والإجماع والقياس وفائدته استنباط تلك الأحكام عن وجه الصحة<sup>(١)</sup> وما دام الأمر يتضمن الدفاع عن العقيدة الإسلامية من جهة علم الكلام ولكن بطريقة انه ينقي العقائد من الانحرافات التي تصيبها و ولا يكون ذلك إلا باستيعاب الأحكام الصحيحة .

لذلك نجد هناك قواسم مشتركة بين العلمين على مستوى الحصيلة النهائية .

ولورجعنا تاريخيا الى عوامل ظهور العلمين لوجدنا أن الدواعي التي تطلبت ظهورهما، يمكن أن تكون واحدة، نظراً للظروف التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية .

فقد ظهرت فرقة الخوارج والجبرية والقدرية وكلها فرق كان للعامل الديني وحرية النظر والفكر إضافة لوجود شتى الملل والنحل ضمن محيط الدولة الإسلامية الوليدة، كان لها دور في بروزها وأخذها مساحة واسعة من حيز التفكير الإسلامي، بل ووجد لها أتباع وأنصار، وبعضها كلف الدولة الإسلامية الوقت والجهد والمال من اجل التخلص منها، وان بقيت رواسب بعضها قرون طويلة في المجتمع الإسلامي .

والمال من اجل التخلص منها، وان بقيت رواسب بعضها قرون طويلة في المجتمع الإسلامي .

• المطلب الثاني : العلاقة بين علم الكلام

وعلم الأصول

كان للمتكلمين دور كبير في تطوير علم الأصول

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧٢٨هـ)، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٩٩٥ م ٢٨ ٢٣١١

(١) المستصفي من علم الاصول، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار احياء التراث العربي، بيروت



« جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقييح العقليان أنموذجاً »

..... د. عثمان أحمد إبراهيم الكبسي | ٢٧٧

يلتزم مذهباً مخصوصاً في المسائل المظنونة الشرعية<sup>(٣)</sup>.

ويمكن القول أن كلا العلمين يعتمدان على العقل في تأصيل القواعد، فعلم الأصول يعتمد على السمع أو النقل ثم يستعين بالعقل في استنباط القواعد مستعيناً بالعقل في الاجتهاد الفقهي، وكذلك علم الكلام عند المتكلمين يستعين بالعقل سواء كان مقدماً على السمع أو متأخراً عنه في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ونصرتها بالأدلة العقلية.

إن ارتباط علم الكلام بأصول الفقه والتلازم بينهما مما يجعل الفصل بين مستحيلاً أو استغناء علم الأصول عن علم الكلام ليس صحيحاً ولعل عدم التفريق بينهما هو الذي جعل بعضهم يظن إمكان استغناء الأصول عن علم الكلام، ومن زاوية أخرى لجأت جماعة من علماء الأصول إلى الأدلة الكلامية؛ بغية إثبات آرائهم الأصولية<sup>(٤)</sup>.

مما حدا ببعضهم الى الزعم باحتياج أصول الفقه الى علم الكلام وبالعكس، وعن ذلك

وتأصيل مباحثه وخصوصاً من الاشاعة الإمام الباقلاني في كتابه الجامع لجميع مباحث علم الأصول وسماه التقريب والإرشاد في ترتيب طرق الاجتهاد، خير شاهد على ذلك، إذ إن كثير من الباحثين لعلم الأصول يذهبون الى أن (التقريب والإرشاد للقاضي أجل كتاب صنف في هذا العلم مطلقاً)<sup>(١)</sup>.

وكذلك من المعتزلة القاضي عبد الجبار الهمداني فقد وضع كتاب يعد ركناً من أركان علم أصول الدين، وهو كتاب العمدة، وفي ذلك يقول ابن خلدون (وكان من أحسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان لإمام الحرمين والمستصفي للغزالي، وهما من الاشعرية وكتاب العمدة لعبد الجبار وشرحه المعتمد لأبي الحسن البصري وهما من المعتزلة وكانت الأربعة قواعد الفن وأركانه)<sup>(٢)</sup>.

لقد صبت جهود المتكلمين من معتزلة واشاعرة في علم الأصول بقصد الارتقاء به وتطويره، فشهدت موضوعاته نتيجة لذلك توسعاً وتطوراً وتنوعاً، كما شهدت تغييراً كبيراً في كثير من مباحثه ومسائله الى الدرجة التي بلغ فيها الأمر ببعض علماء الكلام أن ردوا بعض القواعد، بغض النظر عن قائلها حتى قال الإمام الجويني (وإلا فحق الأصولي ألا يلتفت الى مذاهب أصحاب الفروع ولا

(٣) البرهان في أصول ال: فقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، دار الوفاء، الرياض، ط ٣، ١٩٩٢م، ص ٧٧٣

(٤) انظر المستصفي، لأبو حامد الغزالي، ص ٢٨٥، وأعلام الموقعين عن رب العلمين، ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد. دار

الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٣٤

(١) البحر المحيط، بدر الدين الزركشي، ج ١، ص ٨

(٢) المقدمة، ابن خلدون، ١: ٥٧٦

يقول أبو حبان التوحيدي<sup>(١)</sup> (وبابه [أي علم الكلام] مجاور لباب الفقه، والكلام فيهما مشترك، وإن كان بينهما انفصال وتباين، فإنّ الشركة بينهما واقعة... ألا ترى أن الباحث عن العالم في قدمه وحدوثه وامتداده وانقراضه يشاور العقل ويخدمه، ويستضيء به ويستفهمه؟ كذلك الناظر في العبد الجاني هل هو مشابه للحال فيرد إليه أو مشابه للحر فيحمل عليه؟ فهو يخدم العقل ويستضيء به)<sup>(٢)</sup>.

• **المطلب الثالث: القضاء والقدر عند المتكلمين والأصوليين**

من المسائل التي شغلت الأمة الإسلامية كثيراً هي مسألة (القضاء والقدر)<sup>(٣)</sup> وهي تعود في أصلها إلى القبح والحسن والتي أخذت حيزاً كبيراً من السجلات عند المتكلمين، بل ونشأت فرق كلامية بحثت في هذه المسألة ووصل البعض منها إلى القتل وإراقة الدماء، ولذلك فإن الأمة الإسلامية انقسمت في القدر على ثلاثة أقسام:

(القسم الأول: غلوا في إثبات القدر وسلبوا العبد قدرته واختياره وقالوا أن العبد ليس له قدرة ولا اختيار، ولم يفرقوا بين فعل العبد الواقع باختياره وبين فعله الواقع بغير اختياره ولا شك أن هؤلاء ضالون لأنه مما يعلم بالضرورة من الدين والعقل والعادة أن الإنسان يفرق بين الفعل الاختياري والفعل الإجباري.

القسم الثاني: غلوا في إثبات قدرة العبد واختياره، حتى نفوا أن يكون لله تعالى مشيئة أو اختياراً أو خلق فيما يفعله العبد، وزعموا

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي البغدادي. (٩٢٣-١٠٢٣) فيلسوف متصوف، وأديب بارع، من أعلام القرن الرابع الهجري، عاش أكثر أيامه في بغداد وإليها ينسب. وقد امتاز أبو حيان بسعة الثقافة وحدة الذكاء وجمال الأسلوب، كما امتازت مؤلفاته بتنوع المادة، وغزارة المحتوى؛ فضلاً عما تضمنته من نوادر وإشارات تكشف بجلاء عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والسياسية للحقبة التي عاشها، وهي -بعد ذلك- مشحونة بآراء المؤلف حول رجال عصره من سياسيين ومفكرين وكتاب. وجدير بالذكر أن ما وصلنا من معلومات عن حياة التوحيدي -بشقيها الشخصي والعام- قليل ومضطرب، وأن الأمر لا يعدو أن يكون ظناً وترجيحاً؛ أما اليقين فلا يكاد يتجاوز ما ذكره أبو حيان بنفسه عن نفسه في كتبه ورسائله

(٣) القضاء والقدر في الاصطلاح، أو في الشرع: هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقها لها.

ينظر القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، لعبد الرحمن بن صالح المحمود، دار النشر الدولي، الرياض، ١٤١٤ هـ: ص ٣٩-٤٠.

(٢) ثمرات العلوم، أبو حيان التوحيدي، أبو محمود زناتي ومحمد غالب بركات، دار نينوى، ص ١٩٢-١٩٣.

« جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقييح العقليان أنموذجاً »

..... د. عثمان أحمد إبراهيم الكبسي | ٢٧٩

أن العبد مستقل بعمله، وهؤلاء أيضاً غلوا وتطرفوا تطرفاً عظيماً في إثبات قدرة العبد واختياره.

والقسم الثالث: وهم الذين آمنوا فهداهم الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فسلكوا في ذلك مسلكاً وسطاً قائماً على الدليل الشرعي مستعينين على فهمه بالعقل وهم أهل السنة والجماعة، وقالوا إن الأفعال التي يحدثها الله تعالى في الكون تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: ما يجريه الله تبارك وتعالى من فعله في مخلوقاته فهذا لا اختيار لأحد فيه كإنزال المطر وإنبات الزرع والإحياء والإماتة والمرض والصحة وغير ذلك وهذه بلا شك ليس لأحد فيه اختيار وليس لأحد فيها مشيئة وإنما المشيئة فيها لله الواحد القهار.

النوع الثاني: ما تفعله الخلائق كلها من ذوات الإرادة فهذه الأفعال تكون باختيار فاعليها وإرادتهم لان الله تعالى جعل ذلك إليهم<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ

﴿٢٨﴾ [التكوير الآية ٢٨]، وقال تعالى ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران الآية ١٥٢]، وقال تعالى ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف الآية ٢٩]، والإنسان

يعرف الفرق بين ما يقع منه اختياراً وبين ما يقع منه اضطراراً وإجباراً ويعرف أن الفرق بين

(١) وجوه الخلاف بين الفرق الإسلامية في المسائل الكلامية. د. إسماعيل إبراهيم صخي (اطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية- بغداد، ٢٠٠٩م، ص ١٥٣.

الفعلين هو أنه مختار في الأول ومضطر في الثاني وكل عاقل يعرف ذلك .

(وعن قوله تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان الآية ٣٠] يقتضي أن مشيئة الله تعالى مستلزمة لمشيئة العبد ومستلزم المستلزم، فإذا مشيئة الله مستلزمة لفعل العبد، وذلك هو الجبر، وهكذا الاستدلال على الجبر بقوله ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف الآية ٢٩] لأن هذه الآية أيضاً تقتضي كون المشيئة مستلزمة للفعل ثم التقرير ما تقدم<sup>(٢)</sup> .

وأجاب العلامة الألوسي بان معنى الآية (وما تشاءون مشيئة تستلزم الفعل إلا وقت أن يشاء الله تعالى مشيئتكم تلك)<sup>(٣)</sup> .

وقال سيد طنطاوي: أي (وما تشاءون شيئاً من الأشياء، إلا بعد خضوع هذا الشيء لمشيئة الله - تعالى - وإرادته، إذ هو الخالق - سبحانه - لكل شيء، وهو صاحب الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)<sup>(٤)</sup>

(٢) تفسير الرازي، لأبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي، (ت ٦٠٦هـ)، المطبعة البهية المصرية، مصر، ط ٣، ١٦/٢٤٦

(٣) رُوح المَعَانِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي، لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي، (١٢٧٠هـ)، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ٢٢/٣٣  
(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد السيد طنطاوي، راجعه: عبد الرحمن العدوي، دار المعارف،

التحسين والتقييح العقليين في كتب أصول  
الفقه لعلاقتها الكبيرة بالأحكام التكليفية،  
فضلاً عن الأصوليين من المتكلمين .  
والذي ظهر لي أن مسألة التحسين والتقييح  
العقليين فيها مواطن اتفاق بين العلماء، ومواطن  
اختلاف بينهم. والحمد لله أولاً وآخراً.

## النتائج

أهم النتائج التي توصلت إليها:

- أن التحسين مأخوذ من الحسن، وهو  
في اللغة: ضد السيئ، والتقييح مأخوذ  
من القبح، وهو في اللغة: ضد الحسن.  
ومعنى الحسن اصطلاحاً: هو النافع، أو ما  
يعود به على فاعله نفع.

- أن المجالات التي يمكن للعقل أن يعمل فيها  
دوره كثيرة جداً، سواء في مجال الاعتقاد أو  
الشرائع أو الأخلاق أو التجارب والابتكارات،  
غير أن هناك مجالات يعجز العقل عن دركها؛  
فينبغي عدم إقحامه فيها؛ وذلك كأمر الغيب،  
وإثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العليا،  
والخوض في القدر، والحكم بالحل والحرمة  
والوجوب والندب والكرهية من دون الاستناد  
إلى النصوص الشرعية.

- الأحكام الشرعية التعبدية، وهذه لا خلاف  
بين العلماء في أن مرجعها إلى الشرع دون  
العقل. وكل ما أمر الله به ورسوله فهو حسن،  
وأن كل ما نهى الله عنه ورسوله فهو قبيح.

## الخاتمة

في نهاية البحث لابد من تسجيل مجموعة من  
النتائج التي توصلت إليها، خاصة وان مسألة  
التحسين والتقييح لابد لكل أصولي ومتكلم  
أن يمر بها ويدلي برأيه فيا بين مؤيد للعقل أو  
مؤيدا للنقل أو أخذاً بكليهما، علما بأن أغلب  
المتكلمين هم أصوليون لهم باع طويل في  
علم الأصول إن لم نقل من المؤصلين لهذا  
العلم بعد الإمام الشافعي رحمه الله، وكل  
الاختلافات فيما بين الأصوليون سواء كانوا  
متكلمين أو فقهاء كانت تدور دور العقل  
ومكانته في التشريع .

ولا شك أن العقل له مكانة كبيرة في شريعة  
الإسلام، ولا أدل على ذلك من كثرة تكرار مادة  
(عقل) في كتاب الله تعالى، وقد وردت كلها على  
سبيل مدح من اتصف به، أو ذم من انتفى عنه .

أن أبرز فرقة من فرق أهل القبلة اشتهر عنها القول  
بالتحسين والتقييح العقليين هي فرقة المعتزلة، وقد  
انتقل إليهم هذا القول عن طريق روافد غير إسلامية  
؛ وكان الفلاسفة اليونان من أقوى الروافد في ذلك .

أن قاعدة التحسين والتقييح العقليين من مهمات  
القواعد وكبار المسائل، وذلك لارتباطها بعلم  
عدة، كعلم الكلام، وعلم أصول الفقه، وعلم  
الفقه، وأن الأصوليين الفقهاء ذكروا مسألة

« جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقييح العقليان أنموذجاً »

..... د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي | ٢٨١

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.  
الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدي، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢.  
ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار السلام، ١٩٩٨ م .  
إشارات المرام : فصل الخلافات بين جمهور الماتريديّة والأشعرية الجزء الثاني : ص ٣١٠ - ٣٣٢ .  
أعلام الموقعين عن رب العلمين، ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، راجعه : طه عبد الرؤوف سعد . دار الكتب العلمية، بيروت.  
الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، محمد بن الطيب القاضي ابي بكر الباقلاني، تحقيق وتقديم محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي، مصر، ط ٢، ١٩٦٣ م.  
البحر المحيط، الزركشي، تحرير: د. عمر سليمان الاشقر و د. عبد الستار ابو غدة و د. محمد سليمان الاشقر، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت.  
البرهان في أصول ال: فقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، دار الوفاء، الرياض، ط ٣، ١٩٩٢ م .

- أن الذي يترجح لي في مسألة التحسين والتقييح العقليين هو ما عليه أئمة السلف من إثبات إدراك العقل لحُسن أو قُبْح كثير من الأشياء والأفعال؛ لكن لا يترتب على ذلك الإدراك حكم شرعي من إيجاب أو تحريم أو ندب أو كراهة أو إباحت؛ بل الأمر في ذلك متوقف على ورود النصوص الشرعية، وذلك لأن هذا القول هو ما تشهد له النصوص الشرعية والفطر المستقيمة والعقول السليمة.  
- أن الخلاف في التحسين والتقييح العقليين خلاف معنوي؛ ترتبت عليه ثمرات عقدية وأصولية وفقهية. ومن الثمرات العقدية المترتبة على الخلاف في التحسين والتقييح العقليين ما يلي:  
أ) معرفة الله تعالى هل هي واجبة بالشرع أو بالعقل؟  
ب) الخلاف في وجوب اللطف على الله تعالى.  
ج) الخلاف في وجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى. وغيرها من المسائل .  
ان هناك مواطن اتفاق في التحسين والتقييح في مسائل وهي:  
أ. الأحكام العقلية كالحسابيات والهندسة  
ب. الاحكام الشرعية والتعبدية  
ج. كل ما امر به الله ورسوله فعو حسن وكل ما نهى عنه فهو قبيح .

والحمد لله أولاً وآخراً ..

« جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقيح العقليان أنموذجاً »

٢٨٢ | د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي .....

تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر .

شمس الدين، دار الارشاد الاسلامي، طهران الرد على الجهمية والزنادقة، الامام احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات.

تاريخ المذاهب الاسلامية، محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة .

التجديد في الفكر الاسلامي، عدنان محمد أمامة، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤ هـ.

تفسير الرازي، لأبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي، (ت ٦٠٦ هـ)،

دار إحياء التراث العربي، بيروت .

شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، تحقيق د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، مصر .

المطبعة البهية المصرية، مصر، ط ٣ .

التلويح على التوضيح لمتن التقيح، التفتازاني (٧٩٢ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد السيد طنطاوي، راجعه: عبد الرحمن العدوي، دار المعارف، مصر، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، تحقيق دار المعارف النعمانية، باكستان .

العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، ط ٢، ٢٠٠١ م .

ثمرات العلوم، ابو حيان التوحيدي، ابو محمود زناتي ومحمد غالب بركات، دار نينوى الجامع لأحكام القرآن، محمد بن احمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت .

العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار الرشيد .

فتح الغفار بشرح المنار، المعروف بمشكاة الانوار في اصول المنار، ابن نجيم الحنفي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر

القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي (٨١٧ هـ)، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٧ م .

القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، لعبد الرحمن بن صالح المحمود، دار النشر الدولي، الرياض، ١٤١٤ هـ.

درع تعارض العقل والنقل، ابن تيميه، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع ادارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الاسلامية، ١٩٩١ م .

درر الفوائد في شرح الفرائد، محمد كاظم الخراساني (١٣٢٩ هـ)، تحقيق السيد مهدي عثمانية، ١٣١٧ .

درع تعارض العقل والنقل، ابن تيميه، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع ادارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الاسلامية، ١٩٩١ م .

درر الفوائد في شرح الفرائد، محمد كاظم الخراساني (١٣٢٩ هـ)، تحقيق السيد مهدي عثمانية، ١٣١٧ .

درع تعارض العقل والنقل، ابن تيميه، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع ادارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الاسلامية، ١٩٩١ م .

درر الفوائد في شرح الفرائد، محمد كاظم الخراساني (١٣٢٩ هـ)، تحقيق السيد مهدي عثمانية، ١٣١٧ .

درع تعارض العقل والنقل، ابن تيميه، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع ادارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الاسلامية، ١٩٩١ م .

درر الفوائد في شرح الفرائد، محمد كاظم الخراساني (١٣٢٩ هـ)، تحقيق السيد مهدي عثمانية، ١٣١٧ .

« جهود المتكلمين في تقرير المباحث الأصولية التحسين والتقييح العقليان أنموذجاً »

..... د. عثمان أحمد إبراهيم الكبيسي | ٢٨٣

قواطع الأدلة في الأصول، ابن السمعاني، الأيجي، تحقيق عبد الرحمن عميرات، دار  
تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل، الجيل، بيروت، ١٩٩٧ .

دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م.

لسان العرب، جمال الدين محمود بن مكرم  
بن منظور، دار صادر، بيروت .

اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبو  
الحسن الأشعري، تحقيق محمد أمين الضاوي،  
دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م.

مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧٢٨هـ)، مجمع  
الملك فهد، المدينة المنورة، ١٩٩٥ م.

المستصفي من علم الأصول، أبو حامد محمد  
بن محمد الغزالي، دار احياء التراث العربي،  
بيروت .

\* \* \*

المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف السنة  
منها، عواد بن عبد الله المعتق، مكنية الرشد،  
الرياض، ط ٢، ١٩٩٥ م .

المعجم المفهرس للفاظ القرآن الكريم، محمد  
فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤  
هجريه .

مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، دار  
الكتب العلمية، بيروت .

المقدمة، ابن خلدون، (٨١٦ هـج)، دار احياء  
التراث العربي، بيروت، ط ٤

الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم  
الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، تقديم صدقي جميل  
العتار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٥ هـ -  
٢٠٠٥ م .

المواقف، القاضي عضد الدين عبد الرحمن

